

جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة جيجل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

العلامة عند دي سوسير

The Sign in Saussure's Theory

السنة الأولى ماستر
من إعداد:
الدكتورة سامية بوكحيل

2024

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية مفهوم العلامة عند فرديناند دي سوسير باعتباره المفهوم التأسيسي الذي يقوم عليه المشروع السيميولوجي بأكمله. وتستعرض الورقة التعريف السوسيري للعلامة كثنائية متلازمة من الدال والمدلول، ومبدأ التعسفية الذي يحكم العلاقة بينهما، ومفهوم القيمة اللغوية الذي يُقرّر أن معنى العلامة علائقي لا جوهري، والتميز بين اللسان والكلام ومردوده المنهجي على نظرية العلامة. وتُبيّن الورقة أن نظرية سوسير في العلامة وإن بدت بسيطة في بنيتها الثنائية فإنها تحمل ثورة إبستمولوجية حقيقية بنقلها مركز الثقل من العلامة الفردية إلى النظام العلائقي.

الكلمات المفتاحية: العلامة، دي سوسير، الدال، المدلول، التعسف، القيمة اللغوية، اللسان، الكلام

المقدمة

يحتل مفهوم العلامة موقعًا محوريًا في نظرية فرديناند دي سوسير اللغوية والسيميولوجية، إذ يُمثّل اللبنة التي يُبنى عليها تصوّر البنيوي للغة بأكملها. وقد جاء طرح سوسير للعلامة اللغوية في سياق نقدي للمقاربات الفيلولوجية والنفسية السائدة في عصره، والتي كانت تعالج اللغة إمّا من زاوية تطورها التاريخي أو من زاوية ارتباطها بالعمليات الذهنية الفردية. أما سوسير فقد أحدث قطيعة إبستمولوجية حين أعاد تعريف

العلامة لا ككيان مستقل بل كوحدة علائقية لا تكتسب قيمتها إلا من موقعها داخل نظام. وتسعى هذه الورقة إلى تقديم عرض تحليلي مكثّف لنظرية العلامة عند سوسير في أبعادها الأساسية.

أولاً: ثنائية الدال والمدلول

عرّف سوسير العلامة اللغوية كوحدة نفسية ذات وجهين: الدال وهو الصورة السمعية أو البصمة النفسية للصوت، والمدلول وهو المفهوم أو التمثّل الذهني. وليس الدال الصوت الماديّ ذاته، بل هو الأثر النفسي الذي يتركه هذا الصوت في الذهن، كما أن المدلول ليس الشيء الخارجي بل هو الفكرة عنه. والعلاقة بين الدال والمدلول عضوية لا تقبل الانفصال، فكلّاهما يُوجد الآخر ولا معنى لأحدهما بمعزل عن رفيقه. وقد عبّر سوسير عن هذا التلازم بتشبيه الورقة النقدية التي لا يمكن فصل وجهها عن ظهرها؛ فكما أن قصّ الوجه يستلزم قصّ الظهر، كذلك لا يمكن عزل الدال عن المدلول دون تفكيك العلامة بأكملها. وهذا التلازم يُمثّل المبدأ الأول الذي تقوم عليه نظرية العلامة السوسيرية ويُميّزها عن التصورات التي تُعالج الدال والمدلول ككيانين مستقلين.

ثانيًا: مبدأ التعسفية

أرسى سوسير مبدأ التعسفية كخاصية جوهرية للعلامة اللغوية، مؤكدًا أن الرابط بين الدال والمدلول رابط تعسفي لا يخضع لأي ضرورة طبيعية أو منطقية. فلا شيء في التركيب الصوتي لكلمة "شمس" مثلاً يفرض عليها أن تدل على ذلك الجرم السماوي المضيء، ولو كان الرابط طبيعيًا لتطابقت اللغات في تسمية الأشياء ذاتها. غير أن سوسير لم ينف وجود حالات من التحفيز النسبي كالتصريف والاشتقاق حيث يكون الرابط بين الدال والمدلول قابلاً للتعليل جزئيًا، لكنه أكد أن هذه الحالات استثنائية وأن الأصل في العلامة اللغوية هو التعسف المطلق. وتترتب على هذا المبدأ نتيجة منهجية حاسمة: فإذا كان الرابط تعسفيًا فإن العلامة لا تملك قيمة بذاتها بل تستمدّها من علاقتها بغيرها من العلامات داخل النظام.

ثالثًا: القيمة اللغوية

يُعَدُّ مفهوم القيمة اللغوية من أدق المفاهيم السوسيرية وأكثرها إثمارًا. وقد ميّز سوسير صراحة بين المعنى والقيمة: فالمعنى يتحدّد بعلاقة الدال بالمدلول داخل العلامة، أما القيمة فتتحدّد بموقف العلامة من سائر العلامات في النظام. فكلمة "مطر" في العربية تحمل معنى يدل على هطول الماء من السماء، لكن قيمتها تتحدد بمعارضتها لكلمات أخرى كـ"وسي" و"رذاذ" و"عاصفة"، بينما قد لا يملك مجال لغوي آخر هذا التفصيل الدلالي نفسه. وهكذا تتكشف القيمة كخاصية علائقية محضة: فالعلامة لا تملك قيمة ذاتية بل

تستمدّها من اختلافها عن غيرها. وقد أسهم هذا المفهوم في إرساء المقاربة البنيوية التي تعتبر اللغة نظامًا من الاختلافات لا من الثوابت، وأثّر بشكل عميق في اللسانيات والأنثروبولوجيا والنقد الأدبي.

رابعًا: اللسان والكلام وأثرهما في نظرية العلامة

ميّز سوسير بين اللسان بوصفه النظام الاجتماعي المشترك من العلامات والقواعد، والكلام بوصفه الاستعمال الفردي لهذا النظام. فاللسان كليّ ومجرّد ومستقل عن الأفراد، بينما الكلام جزئيّ وعرضي وسليبي. وهذا التمييز له مردوده المباشر على نظرية العلامة: فالعلامة بوصفها وحدة اللسان هي كيان اجتماعي تعسفي يخضع لقواعد النظام لا لإرادة الفرد، أما استعمال العلامة في الكلام فهو اختيار فردي يخضع لاعتبارات سياقية وبلاغية. وقد أكّد سوسير أن موضوع الدراسة اللغوية هو اللسان لا الكلام، لأن العلامة في اللسان وحدها تملك القيمة والثبات اللذين يسمحان بالتحليل العلمي المنهجي. ويتصل بهذا التمييز أيضًا التمييز بين المحور التركيبي الذي يدرس العلاقات بين العلامات في السلسلة الكلامية، والمحور المحزائي الذي يدرس العلاقات بين العلامات القابلة للاستبدال في موضع واحد.

الخاتمة

تُبيّن هذه الورقة أن نظرية العلامة عند سوسير تتأسّس على ركائز متينة متشابكة: ثنائية الدال والمدلول التي تُقرّ بتلازم الوجهين المادي والمفهومي للعلامة، ومبدأ التعسفية الذي يُفكّك الوهم القائل بعلاقة طبيعية بينهما، ومفهوم القيمة الذي ينقل مركز الثقل من العلامة الفردية إلى النظام العلائقي، والتمييز بين اللسان والكلام الذي يحدد المستوى الذي تُدرّس فيه العلامة علمياً. وقد أثارت هذه الركائز نقاشات واسعة وانتقادات عديدة، لا سيما من التفكيكيين الذين طعنوا في استقرار ثنائية الدال والمدلول، لكنها تظلّ المرجعية الأساسية التي لا غنى عنها لفهم تطور الفكر السيميولوجي.

المراجع

- دي سوسير، فرديناند. (1916). محاضرات في اللغويات العامة. ترجمة يوثيل يوسف عزيز. دار الشروق.
- بارت، رولان. (1964). عناصر السيميولوجيا. ترجمة عبد السلام بنعبد العالي. دار توبقال.
- دريدا، جاك. (1967). الكتابة والاختلاف. ترجمة كامل يوسف حسين. دار توبقال.
- غريماس، ألجيرداس جوليان. (1966). السيميوطيقا البنيوية. دار لاروس.
- إيكو، أمبرتو. (1976). نظرية السيميوطيقا. ترجمة سعيد بنكراد. دار توبقال.